تحليل نص نموذجـــــي

" ... هؤلاء هم كل ***الليبيين*** الذين نستطيع تسميتهم . أما بالنسبة لملوكهم فإن القسم الأكبر لم يكن يبالي بملك ***الميديين*** في الوقت الذي أكتب عنه ، كما لا يبالون به الآن ، و إنني لا أستطيع أن أضيف إلى ما ذكرته عن هذه البلاد إلاّ بالقدر الذي تسمح به معلوماتنا ، فإنه تعيش هنا أربعة أمم لا أكثر ، اثنان منها أصليتان. واثنان غير أصليتين، فالليبيون في الشمال و ***الأثيوبيون*** في جنوب ليبيا أصليون ،أما ***الفينيقيون*** و الإغريق فإنهم استقروا فيها فيما بعد... و إلى الغرب من ***نهر تريتون*** و بعد موطن ***الأوسيز*** أو ***الأوخيز*** تبدأ بلاد الليبيين الذين يفلحون الأرض و يقطنون البيوت و هم يدعون ***الماكسوس*** ، و يسدلون شعورهم الطويلة على الجانب الأيمن من رؤوسهم و يحلقون الأيسر ، و يطلون أجسادهم بمادة تدعى ***القرمز*** ، و يدعي هؤلاء أنهم من نسل أهالي ***طروادة*** . و يعم أكثر الجزء الغربي من ليبيا وحوش و أحراش ، عكس بلاد البدو و الرعاة الواقعة في الجزء الشرقي من ليبيا و التي تتميز بالانخفاض و طغيان الرمال حتى نهر تريتون ، فإن البلاد التي تقع غربي هذا النهر حيث يعيش زارعو الأرض فجبلية للغاية و مملوءة بالأحراش و الحيوانات الضارية ، و يوجد بتلك البلاد الأفاعي الضخمة و الأسود و الدببة و ***الصلال*** و ***الحمير القرناء*** ، و مخلوقات رؤوسها رؤوس كلاب و أخرى لا رؤوس لها و عيونها في صدورها ... " . (والعهدة هنا على الليبيين)

تاريخ هيرودوت ، الكتاب الرابع ، ~~191-197~~.

ترجمة عبد الإله الملاح . ط ، ص ص 347 - 369

هيئة أبوظبي للثقافة والتراث

الكاتب و الكتاب

ولد هيرودوت بمدينة *هليكرناسوس*- التي تعرف اليوم باسم *بودروم* – في إقليم كاريا بجنوب غرب آسيا الصغرى و هذا في حوالي تاريخ 484 ق.م ؛ تلقى هيرودوت تعليما خاصا من طرف عمه *بنياسيس* الذي كان يمجد هوميروس.

نفي و هو لا يزال صغيرا إلى *ساموس* ، بعد تدبير انقلاب من طرف أقربائه ضد الطاغية *ليغدامس* حاكم مدينة هليكرناسوس الموالي للفرس ، و منذ ذاك تأثر هيرودوت بالأمر و أصبح من المعادين للتأثير الآسيوي و نظام الطغاة.

عاد هيرودوت إلى مسقط رأسه سنة 454 ق.م ليشارك في الإطاحة بطاغية المدينة ، ليهجرها من جديد متوجها في أسفاره إلى مختلف الأقطار المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط ، فزار مصر ، *ليبيا* ، *بلاد الإغريق القارية و بلاد الإغريق الكبرى* ، *بلاد الميديين* ، *الفرس و بلاد آشور*.

استقر هيرودوت ما بين سنتي 446 ق.م – 445 ق.م *بأثينا* و احتك *بسوفقليس و بركليس*؛ و في ربيع 443 ق.م خرج هيرودوت قاصدا مستوطنة *توروا* التي تقع على السواحل الجنوبية *لكلابري في جنوب إيطاليا* ، أين توفي في حوالي تاريخ 420 ق.م ، بعد تخصيصه العشرين سنة الأخيرة من حياته في تحرير كتابه " *التواريخ* ".

تنقسم تواريخ هيرودوت إلى تسعة كتب ، يطرح فيها : تأسيس و تطور القوة الفارسية (من الكتاب الأول إلى الكتاب الخامس) ، التي تقضي على ثورة *أيونيا* (الكتاب السادس) ، ثم صراع الشرق مع بلاد الإغريق ينتج عنه انهزام الإمبراطورية الفارسية (من الكتاب السادس إلى الكتاب التاسع) .

- ***طابع النص*** : النص الذي بين أيدينا ذو طابع سياسي ،جغرافي و اجتماعي في آن واحد ، بحيث يبين لنا هيرودوت من خلاله علاقة سكان المنطقة بالميديين مع تعريف القارئ بجغرافية شمال إفريقيا غرب واد النيل ، و وصفه لعادات و تقاليد قبيلة الماكسوس.
- ***الإطار الزماني*** : القرن الخامس قبل الميلاد.
- ***الإطار المكاني*** : ليبيا .
- ***شرح المصطلحات***

الليبيين : هم سكان ليبيا الأقدمون ، و أول من أطلق عليهم هذا الاسم هم الإغريق . و ربما يعود أصل هذه التسمية إلى قبيلة الليبو التي ورد ذكرها في النصوص المصرية القديمة .

الميديين : شعب من شعوب إيران القديمة ، أسسوا إمبراطورية في القرن السابع قبل الميلاد عاصمتها أيكبتان ، و قد تمكن هؤلاء من هزيمة الآشوريين في 614 ق.م ، ثم احتلوا نينوى في 612 ق.م ، غير أن الفرس (و هو شعب من شعوب إيران القديمة) وضعوا حدا للهيمنة الميدية في الشرق الأدنى القديم في حوالي سنة 550 ق.م .

الأثيوبيون : تسمية أطلقها الإغريق على سكان إفريقيا من السود ، و تعني في اللغة الإغريقية " ذوي البشرة المحترقة " (انظر الخريطة).

الفينيقيون : شعب من الشعوب السامية ، قطن الساحل الكنعاني في الألف الثاني قبل الميلاد . و قد أسس هؤلاء عدة مدن مستقلة الواحدة عن الأخرى ، عرفت باسم المدن-الدول ، كانت منتشرة على طول سواحل سوريا و لبنان و فلسطين . اضطر الفينيقيون إلى التوسع في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في أواخر الألف الثاني قبل ميلاد المسيح ، فأسسوا عدة مستوطنات أشهرها قرطاجة .

نهر تريتون : لم يتمكن المؤرخون من تحديد موقع هذا النهر بالتدقيق ، والسبب في ذلك يعود إلى هيرودوت ، بحيث يجعله يتوسط أرض المخليس و الأوسيز ، و يصب في بحيرة تريتونيس التي يجعل منها البعض " شط الجريد" .

الأوسيز أو ***الأوخيز*** : قبيلة ليبية حدد هيرودوت موقعها في جنوب ما يعرف اليوم بتونس ، و كان يفصل بين أراضيها و أراضي المخليس نهر تريتون ، و هي تقطن - شأنها في ذلك شأن قبيلة المخليس - حول بحيرة تريتونيس (انظر الخريطة) .

الماكسوس : من بين الشعوب الليبية التي يحدد هيرودوت موقعها إلى الغرب من أراضي الأوسيز و المخليس ، و يجعلها هيرودوت من الشعوب المستقرة و الممارسة للفلاحة (انظر الخريطة) .

القرمز : تراب صلصالي يستعمل في التخضيب ، أحمر أو أصفر في أغلب الأحيان .

طروادة : مدينة قديمة تقع في آسيا الصغرى ، عرفت ازدهارا حضاريا منذ الألف الثالث قبل الميلاد بسبب تحكمها في الطرق التجارية الرابطة بين الشرق و الغرب ، و هو الأمر الـذي أثار ثائرة الإغريق القاريين فاتحدوا لوضع حد لهذه السيطرة ، و كان ذلك حينما قاموا بتدمير المدينة في حوالي 1100 ق.م .

الصلال : جمع صلّ ، وهو نوع من أنواع الثعابين يعرف بالكوبرا .

الحمير القرناء : هـي حيوانات خرافيـة تتطرق إليها أساطيـر الميثولوجيا عند الإغريق ، و ربما كان المقصود منها هنا حيوان وحيد القرن .

- ***<u>الفكرة العامة:</u>*** وصف بلاد الليبيين .
- ***<u>الأفكار الجزئية :</u>***

1. ***الفكرة الأولى*** ("... هؤلاء هم كل الليبيين ... كما لا يبالون به الآن) علاقة الليبيين بالميديين .
2. ***الفكرة الثانية*** (و إنني لا أستطيع ... فإنهم استقروا فيها فيما بعد ...) أمم ليبيا .
3. ***الفكرة الثالثة*** (و إلى الغرب من نهر تريتون ... من نسل أهالي طروادة) عادات و تقاليد قبيلة الماكسوس .
4. ***الفكرة الرابعة*** (و يعم أكثر الجزء الغربي من ليبيا ... و الحمير القرناء) تضاريس و حيوانات ليبيا .

- ***<u>تحليل الأفكار</u>***

بعد ذكر هيرودوت لمعظم القبائل التي كانت تقطن إلى الغرب من واد النيـل ، أي تلك القبائل التي كانت أراضيها تجاور أراضي المصريين ، يباشر حديثه عن علاقة هـؤلاء بأقوى دولة يعرفها هذا المؤرخ في عصره ، فيذكر أن معظم الليبيين كانوا لا يعترفون بسلطة ملك الميديين عليهم ، مع العلم أن الجيش الميدي كان بـه حسـب تصـريحات هيـرودوت "عشـرون ألف محارب ما بين العرب علـى جمالهم و الليبيين قواد العربات القتاليـة" (الكتاب السابع ، 184) ، و هو الأمر الذي إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على العدد الهائل من المقاتلين الذين ربما كانوا من المرتزقة . فمن المسلم بـه أن الليبيين كانوا مـن بـين قـواد

العربات ، و هذا هيرودوت ذاته يؤكد بأن " الإغريق إنما تعلموا عن الليبيين قرن أربعة خيول سويا " (الكتاب الرابع ، 189) .

ينتقل هيرودوت في حديثه عن ليبيا إلى ذكر الأمم التي كانت تعيش بها ، فيبين لنا بأن الليبيون في الشمال و الإثيوبيون في الجنوب أصليون ، أما الفينيقيون و الإغريق فغير أصليون في المنطقة ، أي أنهم من الدخلاء . فقد أسس الفينيقيون مستوطناتهم على طول الساحل الليبي ، من لبده الكبرى إلى غاية موغادور ، و أشهر تلك المستعمرات هي قرطاجة التي أسسها مهاجروا مدينة صور في حوالي سنة 814 ق.م . أما عن تاريخ بداية توسعهم في ليبيا فكان منذ نهاية الألف الثاني قبل الميلاد ؛ أما الإغريق ، فقد بدأ توسعهم في ليبيا مع بداية الألف الأولى قبل الميلاد ، و قد أسس هؤلاء معظم مستوطناتهم ما بين قورينا و الجبل الأخضر فيما يعرف اليوم بالجماهيرية الليبية .

هذا و بعد انصراف هيرودوت عن الحديث عن القبائل الليبية من البدو الرعاة الذين يجعلهم يستوطنون الأراضي التي تقع إلى شرق نهر تريتون ، يعرفنا بالقبائل التي كانت تستوطن القسم الغربي من ليبيا الذي يقع غرب هذا النهر و كانوا يمارسون الزراعة ، و أشهرها قبيلة الماكيس أو الماكسوس الذين كانوا يدعون أنهم من نسل أهالي مدينة طروادة التي دمرها الإغريق في حوالي سنة 1100 ق.م .

وأرض الليبيين المزارعين التي تقع إلى الغرب من نهر تريتون حسب هيرودوت يطغى على جزء كبير منها الغابات و الحيوانات الضارية و هي مع هذا جبلية ، أما بلاد البدو الرعاة التي تقع إلى الشرق من ذات النهر فمع كونها منخفضة فإن الرمال تغطي معظمها .

- ***نقد الأفكار***

إن أفكار النص الذي بين أيدينا يشوبها نوع من الغموض إلى حدّ ما ، بحيث أن هيرودوت و من خلال سرده لجغرافية ليبيا إنما يعتمد على ما جاء به الليبيون الذين صادفهم هذا الأخير في مستوطنات الإغريق على ساحل ما يعرف في زماننا هذا باسم الجماهيرية الليبية .غير أنها (أي أفكار هذا النص) لا يكاد الباحث يستغني عنها كونها تسلط الضوء على فترة تاريخية هامة من تاريخ المغرب القديم .

أسلوب الكاتب سهل و مفهوم ، بالرغم من اشتمال النص على ألفاظ و عبارات استدعت التمعن في محتواها و شرحها بالاستعانة بالموسوعات و القواميس .

إن هيرودوت منطقي إلى حد ما في تحليله لأحداث النص ، من حيث أنه يعرفنا بعلاقات الليبيين بالميديين و الجغرافية البشرية و الطبيعية لليبيا .غير أن ما يعاب عليه تصديقه لكل ما جاء على لسان هؤلاء الليبيين الذين ما فتأ ينقل عنهم المعلومات التي ضمّنها في *تواريخه* ، و هو مع هذا أمين في نقله إياها .

إن ذكر هيرودوت للأصل الطروادي للماكسوس لا يعني تصديقه لهذا الأمر ، بحيث أنه يشير إليه بعبارة" *و يدعي هؤلاء أنهم من نسل أهالي طروادة* " . و مع هذا فهو يستعمل العقل في ترجيح الأحداث و الوقائع عندما يتعلق الأمر بالعنصر الإغريقي الذي يريده نقيا ، و يعدل عن ذلك حينما يتعلق الأمر بتعريف القارئ بحيوانات ليبيا ، التي يضمّنها مخلوقات خرافية مبالغ في وصفها.

فيما عدا الأمر الذي سبق ذكره آنفا و المتعلق بالأصل الطروادي للماكسوس ، فإنه لا يمكن لنا إظهار عاطفة الكاتب من خلال هذا النص و انحياز هذا الأخير للأمر الذي يكتب عليه ، لعدم وجود موضوع صدام بين الإغريق و الليبيين .

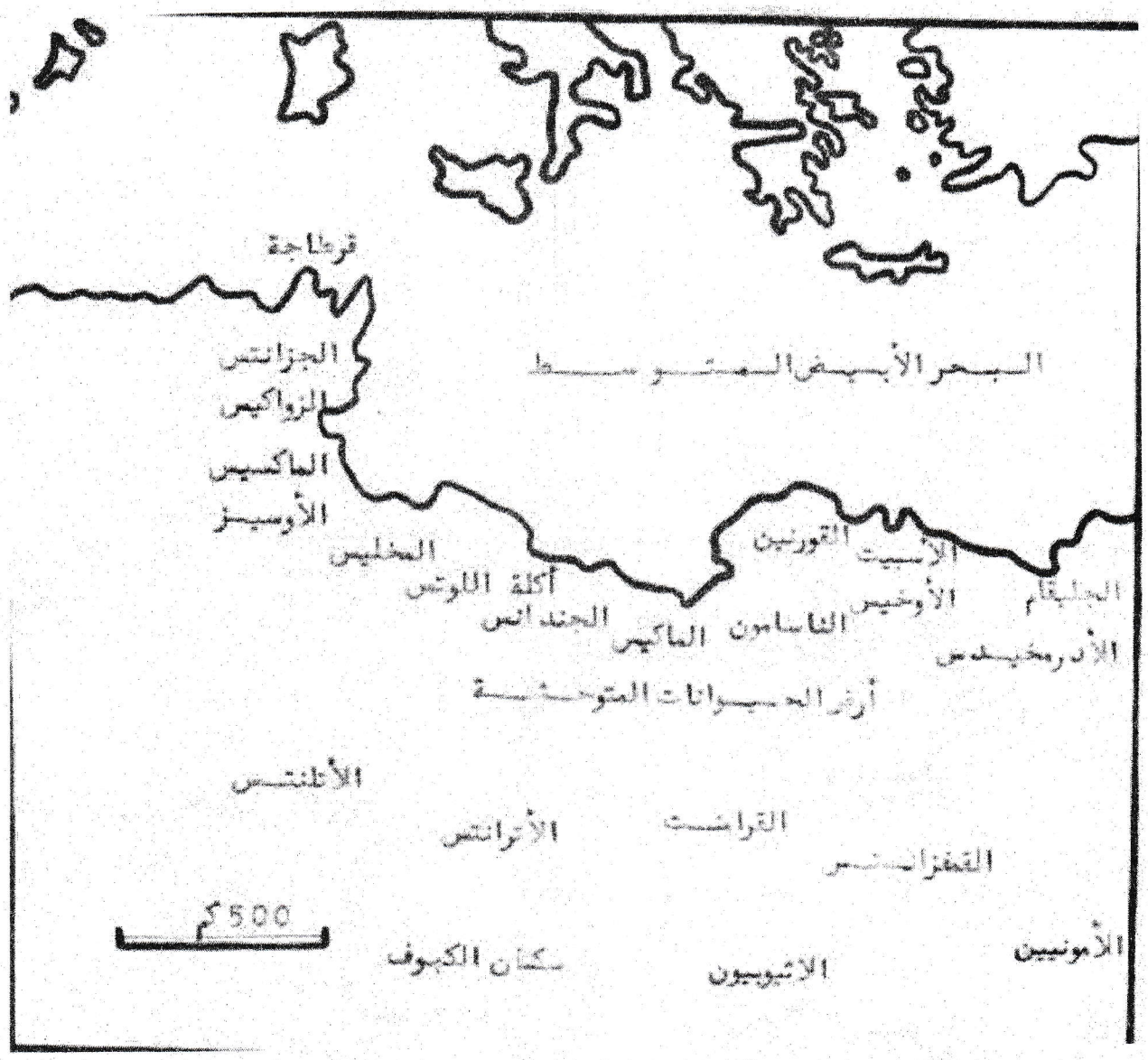

توزيع القبائل الليبية

Spruytte (J.), Attelages antiques Libyens, Paris:
La maison des Sciences de l'homme, 1996, P165.